محاضـــرات فـــي مقيـــاس سوســـيولوجيا الـــرابط الاجتمـــاعي د. تـــالي جمـــال

عنوان الليسانس: **علم اجتماع** اسم الوحدة: **أساسية** الرصيد:**5** المعامل:**2**

المحاضرة الثامنة: الرابط الاجتماعي عند كارل ماكس.

ان افكار ماركس المتميزة تنبع من ثلاث مصادر هي الفلسفة الالمانية والنظرية الاقتصادية والسياسية الانكليزية والاشتراكية الفرنسية، غير ان انخراطه في هذه التيارات الفكرية اتخذ في العادة دور الناقد لها. وبينما تقبل ماركس فكر هيغل عن التاريخ وتأثر به فقد سعى الى تصحيح ما اعتبره السمة الافتراضية للهيغيلية، وذلك باللجوء الى فكرة المراحل المتعاقبة للتطور التاريخي كما تم اعدادها من طرف الفلاسفة التنويرين مثل فيرغيسون وميلر.

لقد رحب ماركس بالحداثة وتطلع الى العصر الذي سوف تتحقق فيه كامل امكاناتها من خلال تجريد الملاك من املاكهم والتحرير الذاتي للمنتجين، أثر ماركس في النظرية الاجتماعية والسوسيولوجيا التاريخية وسوسيولوجيا الطبقات والسوسيولوجيا الاقتصادية، والتريخ الاجتماعي والاقتصادي والاقتصاد السياسي، وقد ظهرت التيارات الماركسية في تلك الفروع المعرفية.[1]

يبدأ ماركس بدراسة المجتمع الإنساني من الواقع المادي الذي نعيش فيه. هذا هو الذي يحدد واقعنا الحي وليست الأفكار التي نؤمن بها هي التي تحدد ذلك، وعلى الرغم من ذلك هناك تفاعل معقد بين الواقع المادي والأيديولوجيات التي تبادر بشرح هذا الواقع، أو في كثير من الأحيان، التعتيم عليه.

يمثل هذا تقدماً كبيراً في الطريقة التي يُنظر بها للتاريخ على هيئة "الرجل العظيم" أو على الأقل "المرأة العظيمة". وهذه هي الطريقة التي روّجتها المؤسسات التعليمية السائدة في فهم التاريخ. فوفقاً لهذه الطريقة فإن التاريخ يحرك المجتمع إلى الأمام بفضل عبقرية الفرد، وفصله عن العلاقات الاجتماعية وبقية المجتمع.

هذا هو السبب الذي جعل دراسة التاريخ في كثير من الأحيان مقتصرة فقط على حفظ تواريخ الملوك والملكات والأباطرة والرؤساء ورؤساء الوزراء، وهلم جرا. فهم الجهات الفاعلة التي تؤثر على التاريخ، ودور البقية منا هو أن ننظر إليهم في رعب، أو في كثير من الأحيان في رهبة، وهم يضربون بحياتنا عرض الحائط.

ومع ذلك، حوّل ماركس هذه الفكرة رأساً على عقب وجلب الجماهير العادية إلى ساحة التاريخ. وفقاً لمفهوم ماركس، فإن التاريخ يتحرك إلى الأمام، ليس من خلال أفعال الأفراد ذوي السلطة، ولكن من خلال الصراع الطبقي، الذي يتأسس على طبيعة الروابط الاجتماعية داخل الطبقة والمضامين المادية التي تنتج ذلك الصراع الطبقي.

1.المادية التاريخية:

عندما تصل قوى المجتمع الإنتاجية المادية إلى درجة معينة من تطورها، تدخل في صراع مع أحوال الإنتاج القائمة أو بالتعبير القانوني مع أحوال الملكية التي كانت تعمل في ظلها حتى ذلك الوقت. وتتغير هذه الأحوال التي هي قيد على الأشكال التطورية من القوى الإنتاجية. وفي هذه اللحظة تحل حقبة من الثورة الاجتماعية. فتعديل القاعدة الاقتصادية يجر في أذياله قلباً سريعاً بدرجة أكثر أو أقل، لكل الصرح العلوي الهائل. وعند دراسة الانقلابات التي من هذا النوع يجب دائماً أن نفرّق بين القلب المادي الذي يحدث في أحوال الإنتاج الاقتصادية والتي يمكن تقريرها بدقة

عالية، وبين الأشكال القانونية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية، أو بكلمة واحدة الأشكال الأيديولوجية التي يدرك الناس في ظلها هذا الصراع ويجاهدون في سبيل فضه. إذا لم يكن في الإمكان الحكم على فرد طبقاً لما يراه هو عن نفسه، فلن يكون في الإمكان الحكم على حقبة مشابهة من الثورة على أساس وعيها بنفسها؛ وإنما بالعكس يجب تفسير هذا الوعي بمتناقضات الحياة المادية في أحشاء المجتمع القديم.2

بالتالي، من أجل فهم الأحداث التاريخية، مثل الانتقال من الإقطاع إلى الرأسمالية، أو الثورات البرجوازية التي دمرت قوة الأرستقراطية في بلدان مثل فرنسا وإنجلترا، فأنت بحاجة لفهم كيفية تطوير أشكال جديدة من الإنتاج يبدأ في تقويض الأشكال القديمة الحاكمة للإنتاج.

وعلى عكس السياسيين في العصر الحديث ووسائل الإعلام السائدة، لم يكن ماركس يجادل بأن صعود الطبقة البرجوازية والإنتاج الرأسمالي يمثل أفضل ما وصل إليه العالم وأنه نهاية التاريخ. بل لقد رأى ماركس أن الرأسمالية هي مرحلة أخرى في تطور المجتمع البشري، ومرحلة يمكن أن تقود المجتمع إلى الاشتراكية والمساواة، حيث أن الكل يستفيد من الكم الهائل من الثروة الناجمة عن النظام الاقتصادي للرأسمالية.

2.الصراع الطبقي:

ستخدم النظرية لشرح نطاق واسع من الظواهر الاجتماعية، بما في ذلك الحروب والثورات والثروة والفقر والتمييز العنصري والعنف الأسري، وتنسب إليها معظم

التطورات في تاريخ الإنسان مثل الديمقراطية والحقوق المدنية إلى المحاولات الرأسمالية للسيطرة على العامة بدلاً من الرغبة في النظام الاجتماعي، وتدور النظرية حول مفاهيم عدم المساواة الاجتماعية في تقسيم الموارد وتركز على الصراعات القائمة بين الطبقات.

عاش ماركس في القرن التاسع عشر، وكانت وقتها إنكلترا مكونة من طبقتين؛ العمال والرأسماليون، وكان الرأسماليون يمتلكون معظم وسائل الإنتاج في البلاد، وكان للعمال فقط جهدهم وتعبهم، وكان الصراع هنا بين الرأسماليين الذين يريدون تشغيل العمال وجهد العمال وتعبهم بأقل تكلفة ممكنة، وبين العمال الذين يسعون جاهدين للحصول على أكبر ثمن ممكن مقابل جهدهم وعملهم لدى الرأسماليين، وهنا كان يشعر الرأسماليون بأنهم يعطون العمال حقوقهم وزيادة، وبنفس الوقت كان العمال يشعرون بأنهم مظلومون.

كانت هناك فكرتان أساسيتان لدى ماركس في قلب موضوع الصراع وهما: أولاً: كان كارل ماركس يؤمن بأن الإنتاج والمجهود هو الذي يعطي للحياة قيمة مادية.

ثانياً: البشر بطبيعتهم حيوانات اجتماعية، ويكونون أكثر فعالية وإنتاجية عندما يتشاركون في الموارد.

نقد ماركس للرأسمالية كان يركز على أنها تستبدل العدل المشتق من التعاون بالصراع، أي أنها ليست نظاما طبيعيا، لذا كان ماركس يسعى لتمكين العمال.

3. الرابط الاجتماعي وعلاقات الإنتاج:

إن الناس أثناء الإنتاج الاجتماعي لحياتهم يدخلون في علاقات معينة ضرورية ومستقلة عن إرادتهم في علاقات إنتاجية تطابق درجة معينة من تطور قواهم الإنتاجية المادية، ويكون مجموع هذه العلاقات الإنتاجية البناء الاقتصادي للمجتمع والأساس الفعلي الذي يقوم عليه البناء الفوقي القانوني والسياسي والذي تطابقه أشكال اجتماعية محددة من الوعي.

فأسلوب إنتاج الحياة المادية يعيّن عملية الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية عامة، وليس وعي البشر هو الذي يحدد كينونتهم بل كينونتهم الاجتماعية هي التي تعيّن بالعكس وعيهم. وتدخل قوى المجتمع الإنتاجية المادية، عند مرحلة معينة من تطوره، في صدام مع علاقات الإنتاج القائمة أو بما لا يعدو أن يكون تعبيرا قانونيا عن نفس الأمر مع علاقات الملكية التي ظلت حتى ذلك الحين تعمل في نطاقها. فتلك العلاقات تتحول من أشكال تعمل على تطور القوى الإنتاجية إلى أغلال تقيد هذه القوى، عندئذ يبدأ عصر من الثورة الاجتماعية، وبتغير الأساس الاقتصادي يتغير، بدرجات متفاوتة من السرعة، البناء الفوقي الهائل بأسره، وعندما ننظر في تغيرات كهذه، يجب دائما أن نميّز بين التغير المادي لظروف الإنتاج الاقتصادي الذي يمكن إثباته بطريقة علمية دقيقة وبين الأشكال القانونية والسياسية والفنية والفلسفية وباختصار بين الأشكال الإيديولوجية التي يعي الناس من خلالها هذا الصراع ويخوضونه إلى النهاية.

وكما لا يمكن تقييم شخص بما يراه هو في نفسه، كذلك لا يمكن تقييم مثل هذه المرحلة من التغير انطلاقا من وعيها بذاته، وإنما يجب على عكس ذلك تفسير هذا

الوعي بتناقضات الحياة المادية وبالصراع القائم بين قوى الإنتاج الاجتماعي وبين العلاقات الإنتاجية.[3]